الياسِرِيَّات

القصيدة البائية للأديب الغيثلي

"انتصارا للشيخ الحبيب المظلوم"

وتقع في سبعينَ بيتا

إليك أفاض الغيثليّ ببارقٍ صواعقُهُ من كان عابك تنتابُ
بقافية من بعد شافية بها منَ الدّنَفِ المصدور تُنفَثُ أوصابُ
وتبعث في المستكبرين حَزَازَةً فبالياسريّات استطبتَ وما طابُوا

«وأعلم أن لي قصيدةً بائية مكنوزة منذ أنشأتها غداة الجمعة ١٠ شوال ١٤٤٠ – ١٤ حَزِيران ٢٠١٩ بعد أسبوع من تلك الجمعة وخلال صيف ذٰلك العام (٢٠١٩) فتمت القصيدة الصيفية سبعين بيتًا ٱنتصارًا للشيخ الحبيب المظلوم».

الغيثلي

الياسِرِيَّات

كفاك أذًىٰ أنَّ العواذل أصحابُ ... أمامك أتقاهم خلافك يغتابُ

خلافك من بالأمس كان مناصحًا ... غدا جارحًا كالذئب تخفيه أثوابُ

لمثلك أهلُ الذكر والذكرُ مرجعٌ ... ومرجعُهُ ما يرتئيه وكتَّابُ

فدان بعَلمانية دنيويةٍ ... وعطَّل دينًا دونه الناس أعرابُ

منَ الناس من يعتاضُ غيًّا بعلمهِ ... فليس له إلا منَ الذم قرضابُ

مع الريح من تهواه أهوىٰ به الهوىٰ ... إلىٰ ربه مهما نأىٰ العبد أوابُ

ظننتَ به خيرًا فكذَّبه ولم ... ينُب عنك هل أغنىٰ عن الشعب نُوَّابُ

بخاتمة الأعمال يُبلىٰ زعيمُها ... ربيعُك فِجُّ الطلع يُنضجه آبُ

أبالله أم بالجاهلية أم قضىٰ ... بكل فما بين النقيضين أسبابُ

لكي لا يرىٰ للدين حكمًا فهل يرىٰ ... لدنياه حكمًا يرتئيه حَمُورابُ

يرىٰ بِرَّكم ذُلًّا لمستكبر علا ... فلا كان عونَ البر ذو الكبر عرقابُ

وكان لمأمول يُؤمَّل مثلُهُ ... بغير هطول غائرُ الصيف خلَّابُ

وكان بدعوىٰ الحق يعجب قولُهُ ... وكم عنك يخفىٰ صدق من هو كذَّابُ

وكنتَ له شيخًا أبًا يقتدي بهِ ... فعقَّك وٱستعلىٰ علىٰ الأب أعقابُ

تقول له ثق لا أبَا لك وٱلتحق ... بنا ناصرًا حقًّا إذا فيه يرتابُ
فلله ما قد قلتَهُ وتقولُهُ ... بحقٍّ كرشق النبل مِن فيك ينسابُ
ولله أصحابُ رعتك أخًا لها ... ولله أرحامٌ وعتك وأصلابُ*
لرافضةٍ هل كان قبلك ناصرٌ ... علىٰ ناصب هل كان قبلك شجَّابُ
ببعض نداك الشعر منتصفًا شدا ... ولولا الندىٰ ما يشخَبُ ميزابُ
فكاد ولم يعطف إلىٰ سرف ولا ... تكلَّف غير الطبع والطبع غلَّابُ
وأمضاك ديوانًا فلم يَطوِهِ غدٌ ... لأشعاره من ألسن الناس أقتابُ
بأيامها الأعمار تُطوىٰ فإن تكن ... كتابًا تكن سطرًا لإنشاده دابُ
وما بزعيق الزامرات رفاهتي ... ولٰكنها ذكرٌ وشعرٌ وآدابُ
كأني بأصحابي فريقين في الذي ... أقول فيُسترضىٰ براضيه عتَّابُ

لنعتك أبياتٌ وأنت لها بابُ ... لصمتك أفواهٌ وأنت لها نابُ
نبستَ بمعروف فأخرستَ منكرًا ... فأنت لذا حُلْوٌ وأنت لذا صابُ
ورئبالُها لو كان للدين مشبلٌ ... وبازلُها لو كان للدين مسقابُ
سبقتَ فكانُوا لاحقين بجَهدهم ... فكل مُجِدٍّ دون جِدِّك تلعابُ
أفدتَ بما أفتىٰ المفيد فأنتما ... دَنِيَّانِ حتىٰ ليس دونكما قابُ
وأبديتَ ما أخفىٰ محابٍ ومتَّقٍ ... يهابان من إياك من جهلهم هابُوا
وأنصفتَ من لم يُنصفوك أمنتهم ... فخانُوك إنَّ القَدح مُورٍ وخيَّابُ

---

* الأرحام كناية عن عقول النساء والأصلاب وهي ما يسمى اليوم العمود الفقري كناية عن عقول الرجال .

بعلمك تقضي لا يَكيدُك جهلُهم ... بعزمك تمضي لا يَزيدُك إعجابُ

كصحب عليٍّ بعضُ صحبك طاعةً ... شُهودُك غُيَّابٌ عبيدُك أربابُ

فمنهم عليهء مِن حمىٰ الدين خارجٌ ... ومنهم إليهء والجُ الصعبِ خبَّابُ

ويخدعُك الأدنىٰ لأدنىٰ طماعةٍ ... ويمنعُك الأغنىٰ وربُّك وهَّابُ

كم ٱجتهدوا أن يَلمِزُوك بِظِنَّةٍ ... لِيَثنُوك عن حقٍّ فأثنَوا بما عابُوا

بما كذَّبَ السَّمعُ العِيانَ فعُمِّيَت ... عليهم وغرَّتهم بأحمَقَ ألقابُ

وعادَوك لا في الله بل في رجالهم ... خصومُك لولا فارقُ الحقِّ أحبابُ

وقالوا لداعي الحقِّ فرَّقتَ بينَنا ... علىٰ ذِلَّةٍ لا كان للصَّدع شَعَّابُ

ولا رَتَقَ البتريُّ فتقَ طوائفٍ ... عن الآل أقصاها منَ الصحب نُصَّابُ

كذٰلك قال المترفون : قتلتنا ... بما قلتَ من حقٍّ وفى الحقِّ إتعابُ

وراحتُهم لو يعلمون منوطةٌ ... بما قلتَ من حقٍّ ليزهقَ إرهابُ

حميرُ إذا ذكَّرتَهم عنك أعرضُوا ... بهائمُ أنَّىٰ للبهائم ألبابُ

كإمَّعَةٍ أبدىٰ لكلِّ وِفاقَهُ ... مع الخِلِّ والخَصم ٱستوىٰ فَهْوَ تِرعابُ

كمُشتَبِهٍ باللَّيث يرجو سلامةً ... بلا خطرٍ والليثُ موطنُهُ الغابُ

أراح الذي قد زاح عنك لظنةٍ ... وهل بسواها فرَّق الناسَ أحزابُ

كأن لم يكن حاباك من قبل أن نأىٰ ... وإن يكُ أثأىٰ للثأىٰ أنت مرآبُ

تنكَّرَ للمعروف آكِلُهُ كما ... لآل حبيبٍ قد تنكَّرَ مِرقابُ*

---

* المِرقابُ حيٌّ من أحياء عاصمة الكويت يقطُنُهُ آلُ الحبيب عشيرةُ الممدوح الشيخ الحبيب ياسر بن يحيىٰ بن عبد الله بن حبيب ؛ ومنَ الطريف أن البيت كذلك قد تنكَّرَ للام التعريف !

فشرِّد بقُرب المؤمنين عذولهم ... علىٰ لمم ما للعواذل أصحابُ
وأدريك لا ترضىٰ بخسران واصلٍ ... ولكنَّ خسران العواذل تَكسابُ
{وإن جنحوا للسَّلْم} حلمُك هدهدٌ ... وإن أوقدوا للحرب عَتْبُك نُشَّابُ
تداعىٰ بأهل الحقِّ أهلُ خلافهِ ... جِزافًا كما ساد السقيفةَ أذنابُ
أميرُهُمُ المأمورُ بعد ٱنقلابها ... ومسلوبهم بالأمس ها هو سلَّابُ
جماعتُهم أن لا تفارقَ جبتَهم ... فمن سبَّ جبتًا سبَّهُ اللهُ سبَّابُ
ووحَّدَ ضُلَّالًا عنِ الآلِ خصمُهُمْ ... تولَّدَ من بابٍ أعاليهِ أعتابُ
ولو عَفَّ أهلُ الدين ما حُفَّت اللِّحَىٰ ... ولا عِيفَ لو عَفَّت حميراءُ جلبابُ
إليك أفاض الغيثليُّ ببارقٍ ... صواعقُهُ من كان عابك تنتابُ
إلىٰ فدكَ الصغرىٰ بها شاخ لندنٌ ... منَ النَّجف الغَرَّا بها شاخ مشخابُ
بقافية من بعد شافية بها ... منَ الدَّنَفِ المصدور تُنفَثُ أوصابُ
وتبعث في المستكبرين حَزَازَةً ... فباليا سريَّات استطبتَ وما طابُوا
كمولاي عن عَينَيَّ غبتَ ولم تغب ... بذكرك عن قلبي لتغشاك أهدابُ
وغاب كما قد غاب في الغار جَدُّهُ ... هو الشَّمسُ أنَّىٰ غيَّب الشمسَ سردابُ
بقيةُ طه ذاك مهديُّ آلهِ ... ووعدُ السَّما لا تُخلف الوعدَ أحقابُ
وما من غُلُوٍّ في ٱبتغاء وسيلةٍ ... إلىٰ الله بالمهدي ما خاب طلَّابُ
إمامُ الهدىٰ في فضله ٱقتضب العدىٰ ... غمامُ الندىٰ في فضله قلَّ إطنابُ
عليٌّ وسبطاهُ وتسعةُ أنجُمٍ ... وفاطمةُ الزَّهْرَا لأحمدَ أبوابُ

وشيعتُهم منهم وهم صحبُهم غدًا وهم مسجدُ التقوىٰ به الآلُ محرابُ
وشيعتُهم مَن مِن عِداهُمُ تبرَّؤُوا لهم معهم في جنة الخلد أعنابُ
خضارمةٌ في كل مخمصة لهم موائدُ بالضِّيفان فيهنَّ تَرحابُ
بآل رسول الله ساد مُحبُّهم ومن حاد منهم لم تُسَوِّدْهُ أنسابُ*

* * *

محمد الغيثلي

محمد بن غياث البحراني الغريفي الموسوي الحسيني

بدأها {من يوم الجمعة} ١٠ شوال ١٤٤٠ – ١٤ حَزِيران ٢٠١٩ وختمها ختام الصيف بالنجف الأشرف .

---

* يقول عامة العرب : حاد عنه ، ويقول الله تعالىٰ في سورة ق : ١٩بل ٢٠ بعد آية البسملة ١ {ذلك ما كنتَ منه تَحيد} ،
وأنشد ٱبن منظور في معجمه لسان العرب : ح ي د : (الطويلَ) :
يَحيدُ حِذارَ الموت من كل رَوعةٍ ولا بُدَّ من موت إذا كان أو قتلِ